■ متدربات على الحياكة والنسيج رغم شحة الإمكانيات

■ الانتهاء من صياغة لوحة إبداعية بيد الحائكين

المنسوجات اليمنية.. تاريخ عريق يتكشف بهدوء

قطن بأكفان مومياء يمنية عمرها ألفان ومائة عام

إستطلاع/ نجلاء الشيباني

حين حاولنا البحث عن أوليات فن الحرف اليدوية في اليمن والمنسوجات منها على وجه التحديد توصلنا الى استحاله العثور على مرجعية منصفه لابداع الإنسان اليمني بحيث تمكنه من إيجاز الإبداع أو محاصرته في إطار زمني يبدأ ويمتد بأرقام تاريخية محددة والسر في ذلك يعود الى أننا ما زلنا الى اليوم ومن خلال الكشوف والحفريات المكتشفة بين العام والآخر نلاحظ ما يؤكد الامتداد اللامتناهي في أعماق التاريخ لتراث وأصالة الفنون اليدوية للإنسان اليمني..

في هذا الاستطلاع نتحدث عن المنسوجات اليمنية وعن أصالتها وأولياتها في الحضارة اليمنية نحاول أن ننقل القارئ عبر بساط هذه المادة الى بدايات ظهور هذا الفن..

ما توفر من نصوص مرجعية في هذا الجانب هناك إجماع من أغلبية الباحثين على تواجد المنسوجات اليمنية في كل العصور سواء ما كان منها قبل الميلاد أو بعده وما قبل الإسلام وفي ظله..

بداية الظهور

يكفينا للتدليل على العمق التاريخي ما ورد في نقش النصر للملك « كرب إل وتر» الموجودة في صرواح اليوم من أن الملك في حربه مع إحدى القبائل اليمنية وبعد الانتصار عليها بلغ مجموع الأسرى من العاملين في مهنة النسيج والحياكة فقط ما يقرب من ألفي أسير وهذا العدد الهائل وفي قبيلة يمنية واحدة لا بعد فقط دليلاً على عمق جذور المهنة بل يتعدى ذلك إلى إثبات غزارة الإنتاج وسعه الانتشار لهذه الحرفه على الأرض اليمنية..

● وأبرز ما يثبت للدارسين المتخصصين في هذا المجال تميز التقنية الصناعية للمنسوجات في اليمن وانتشارها المستمر عبر الحقب الزمنية المتعاقبة وما سيجدونه في معظم المصادر والمراجع من تحديد لعدد مراكز الإنتاج الحرفي لحياكة المنسوجات المنتشر على الساحة اليمنية قديماً ممثلة في مدن المناطق الواسعة مثل صنعاء وعدن وريدة والمعافر وصحار وهجر وحمير والسحول والجريب وحضرموت وصيرة اتحم وشرعب ونجران وانحال بعسير ويضاف الى ذلك الهامشية في القرى والعزل المجاورة لها... واذا كان هذا الانتشار دليلاً على غزارة الانتاج فيمكننا من خلاله أيضا استشفاف واستنتاج دليل آخر أكثر منه أهمية وهو ان هذه المهنة كانت مهنة شعبية في متناول كافة أفراد الشعب ولم تكن حكراً على الورش الحكومية الكثيرة والتي تتحدث عنها الكثير من المراجع.. هذا ما أكده المهندس/جمال كشيح وكيل الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية .

حياكة تهامة

يقول المهندس جمال: يمكننا أن ننسب الكثرة العددية لمراكز الإنتاج الى تراكم خبرة العاملين في التعامل مع تكنيك الإنتاج وأدواته حيث أدى بالعامل في المركز الهامشي للنسيج الى ان يفرض قريته أو مدينة أسما مركزيا في صدارة المناطق المنتجة في الجزيرة العربية.. واذا كانت بعض الملابس والمنسوجات قد حملت أسماء مناطق انتاجها فهناك أنواع من المنسوجات لصفات مميزة بها اما خطوط أو ألوان أو صور أو طرق توشيه ونسج .. وقد اشتهرت أيضا ونسبت الى اليمن عموماً مما يدل على التخصص وغزارة الإنتاج وقدرة حاكته على الإبداع ونذكر في ذلك « برد السيراء» الذي سمي بهذه التسمية لتميزه بخطوط صفراء وحمراء تشبه السيور وقد أشار « الزبيري» الى تسمية أخرى لهذا البرد وهي« المصنف» وبالفعل أنه ما زال الى اليوم يطلق هذه التسمية في بلاد تهامه واذا كان هناك من سبب لبقاء هذا النوع الى اليوم واقتصاره على الحياكة في تهامة فأولها وأهمها مهاراتهم التخصصية في صناعة هذا النوع الأمر الذي لم يجعل لغيرهم فرصة المنافسة من الداخل أو من الخارج الى جانب احتكار الدولة انذاك لهذا النوع من الأعمال المرتبطة بالعمران والتحضر الشامل وكثيرة هي المراكز التخصصية الشبيهة بتهامة والتي لا تزال محافظة على أصالة انتاجها الى هذه الأيام ونذكر منها الشحر وحضرموت وريدة والسحول وشرعب والخال بعيسر»

النسيج اليمني

المصادر الأساسية التي استخدمت في حياكه المنسوجات اليمنية هي النباتات الليفية وأصواف وجلود الحيوانات ممثلة في الكتان والقطن والحرير والصوف والشعر ومع أن المواد الخام هذه قديمة وكانت جميعها يمنية المنبت والصناعة إلا ان بعض المراجع اثبتت مادة الحرير كمادة غير يمنية المنبت ونفت انتاج اليمن لها كمادة خام بحكم استدلال الباحثين باستيراد اليمن لمادة الحرير الخام من الهند والصين وبلاد فارس عن طريق ميناء عدن وموانئ البحر العربي ولكنها في الجانب الآخر أثبتت لليمن تميزها في تقنية أخراج مادة الحرير من نسيج من خلال براعة الحائكين في تنظيفها وغزلها وصباغتها ومن ثم تحويلها الى منسوجات..

أما الكتان فقد زرع في اليمن وهناك الكثير من المصادر التي أشارت الى عدد كبير من المنسوجات كانت كتانية أو خليطاً من الكتان والحرير واستشهد البعض باكفان مومياء « شبام الفرس» قديماً والتي توجد في هذا الأيام بمتحف كلية الآداب قسم الآثار جامعة صنعاء .. وفي جانب آخر اثبتت القطع القطنية الموجودة في اكفان مومياء يمنية يصل عمرها الى ما قبل الفين ومائة عام ان مادة القطن هي المادة النسيجية الأقدم استخداما في اليمن مما يؤكد انفراد اليمن بالمنسوجات القطنية وبانتاج مادتها الخام إضافة الى عدم وجود أدلة مادية في مصر والعراق تواقق تاريخيا دليل اليمن المادي المتمثل في الاكفان المكتشفه ويؤيد ذلك ماورد عن الدكتورة/ سعاد ماهر محمد في كتابها«الفنون الإسلامية» من أن علماء الآثار يجمعون على عدم مصرية القطع القطنية وحجتهم في ذلك انه لم تكتشف الى الآن قطع قطنية عليها كتابات تفيد بصناعتها في مصر

براعة الحرفيين

يستطيع المتتبع لتفاصيل وجزئيات الاخراج اليدوي الفني للمنسوجات والملابس اليمنية ان يستنتج من النظرة الأولى براعة الحاكة ومهارتهم في استخراج الأصبغة من المواد الطبيعية للتلوين إضافة الى وجود ما يوحي باستخراجهم ألوانا متعددة وبدرجات لونية متفاوتة من لون واحد إضافة الى ادراك لمساتهم الخاصة في هذا الجانب ممثلة في عصب النسيج برباط مشدود في عدة مواضع منه مهمتها منع تشرب أجزاء من النسيج للصبغة تترك بدورها مساحات أخرى تمكنهم من تلوينها بألوان أخرى ومنها النسيج بخيوط ملونه تأخذ أشكالاً هندسية أو صوراً معينة كالأسهم أو الطبول أو المراجل وعن الكيفية التي سبق انتاج المنسوجات اليدوية يحدثنا المهندس جمال كشيح عن كيفية تهيئة النسيج للصباغة حيث يقوم الحرفيون بتنظيف إعادة الخام خيوطاً كانت أو نسيجاً وتسمى هذا العملية بالقصارة وتستخدم هذه الطريقة في نسيج الحرير والقطن والصوف والكتان حيث يقوم الحرفيون بعد غسل المادة بغلي مقدار من الماء على النار داخل قدر يوضع فيه كمية من الصابون وبعد ذوبان الصابون يوضع النسيج أو الخيوط ويقوم الحرفي بتقليبها في الماء داخل القدر وهو على النار بواسطة « عصا» ثم يقوم بعد التقليب بإنزال القدر من فوق النار ويقوم بإخراج النسيج منه ويغسله بماء عذب ثم يحفقه في الشمس وبعد التجفيف يصبح النسيج جاهزاً للصباغة..

مواد

يحدثنا صالح أبو غالب وهو أحد العاملين في النسيج عن عملية تثبيت الألوان قائلا يتم تثبيت الألوان على النسيج بمادة تسمى « الشب» حيث يوضع النسيج فيما بعد في الماء لأذابتها لمدة ليلة كاملة ثم يغسل في صباح اليوم التالي بالماء ويباشر صبغة الألوان المطلوبة والى جانب مادة الشب توجد مواد أخرى لتثبيت الألوان منها الزاج ذات الاستخدام المحدود ويقتصر على تثبيت الألوان الذهبي والخمري والبنفسجي والنيلة التي تستخدم لتثبيت اللون الأسود وقشور الرمان والهرد الأصفر كما يستخدم اكسيد الحديد مع ماء الحلقة الشديد الحموضة.

وعلى المنسوجات الصوفية تحديداً استخدمت أوراق شجر التالب ممزوجة بقليل من مادة الشب.

المواد الهامة المستخدمة في الصباغة يحددها الحرفيون بالشب والقوة والعفص والدم وحشيشة الصباغين وكركم تمر الاثل والهرد وماء حب الليمون والنيله وقشور الرمان والزاج دخل الحمر وحديد خشن وماء حلقة وأوراق الحناء وجلد قندس وقشر الهليلج والبقم وعروق ورق شجر الثالب والرماد والخطم وزبيب أسود حاتمي..

الخبرة الحياكية

لا يقتصر تنوع الملابس والنسيج في اليمن على اختلاف الاقاليم الجغرافيا وتقول أمة الرزاق جحاف مدير عام الحرف اليدوية والملبوسات التقليدية ان الأزياء التقليدية والنسيج تتنوع أيضا في على منطقة من مناطق اليمن تبعاً لتنوع الأقاليم الجغرافية وقد أدى ذلك الى تنوع المواد الخام الطبيعية المستخدمة وتنوع المعرفة والخبرة بطرق الحياكة والغزل وبالإضافة الى استخدام مجموعة متنوعة من المواد الأولية لصناعة المنسوجات وتلوينها وتستوحى الأشكال والزخارف والرسومات المستخدمة في تطريز الملابس من البيئة المحلية وباستخدام طرق بدائية في حالة التطريز والحياكة اليدوية ويحاول الصانع الحصول على زخارف وأشكال هندسية وألوان منظمة تتميز بدقة هندسية وإبداع فني متكامل.

وتلفت الى أن التحول الاجتماعي من مجتمع زراعي بسيط الى مجتمع حديث أدى الى اختفاء الكثير من خصوصيات النسيج واندثار معظمها وجهل الكثيرين باهميتها..

فيما تضيف خديجة السواري مديرة إدارة تطوير الحرف اليدوية بأن النسيج في اليمن يشكل أهمية كبيرة ثم تشير الى أن المركز الحرفي انهى مؤخراً دورة تدريبية تؤكد على أهمية هذه الحرف وهناك دورة تدريبية أخرى ستتم في مدينة زبيد حول الحرف اليدوية وأهميتها ومن ضمنها النسيج وذلك خلال الأيام القريبة القادمة ..

أدلة مادية تؤكد انفراد اليمن بالمنسوجات القطنية وبانتاج مادتها الخام

أشكال وألوان تتميز بالتنوع ومحاكاة البيئة المحلية

أشواق

عبدالكريم الخميسي

الغلاء وابن عمه

● نحن نعرف والمسؤولون يعرفون أن مشكلة الأسعار عندنا تختلف عنها في أي بلد من البلدان النامية .. فالمشكلة هناك لها (بُعد) واحد هو: الغلاء .. أما عندنا فلها (بُعدان) ينغرسان في جسد المواطن الغلبان، ويمتصان مابقي في عروقه من مقاومة وهما: الغلاء الفاحش، والتفاوت المذهل.

● وإذا كانت الجهات المعنية قد وجدت لها مخرجاً من المسؤولية بمقولة: «إن الغلاء ظاهرة عالمية»، فماذا ستقول عن هذا التباين الحاد في الأسعار .. ولاسيما في القطاع الصحي حيث أصبح التفاوت في أسعار الدواء بين صيدلية، وأخرى يسبب حيرة شديدة لدى الجميع، مما جعل البعض يطالب الجمعية اليمنية لحماية المستهلك بإنشاء مكتب لها في وزارة الصحة لتحريكها باتجاه مراقبة الأسعار، ومصادرة العقاقير الضارة والمغشوشة وغير الصالحة للاستعمال.

● ولو أننا نحاول قياس الرأي العام حول هذه المسألة لوجدنا الغالبية العظمى تشكو من تفاقم تلك الظاهرة (المحلية) حتى وصل الحد إلى أن المريض يضطر للمرور على خمس أو ست صيدليات قبل أن يشتري الدواء المطلوب وإلا فإنه سيتعرض لابتزاز البعض من عديمي المسؤولية وفاقدي الضمير.

● أما التفاوت في أسعار التحاليل، والأشعة، والكشف الطبي فحدث ولا حرج، وهذا يعني أنه أصبح من الضروري استدعاء جمعية حماية المستهلك لتحريك الجهات التي لاتتحرك إلا بمشاركة خارجية أو بدعم دولي.

ص . ب (٤٨٤١)
alkhmisy@hotmail.com

مع العراق الجديد

ابراهيم بن عبدالله المعمري*

● كلما يخطو العراق باتجاه الاستقرار يبتعد أكثر عن الاحتمالات الأكثر سوءا، الانفلات الكبير ثم تجزئة العراق.. تلك التي لاحت مع بدايات الغزو ثم الأيام التي تلت نهاية الحرب.

مع كل خطوة نحو إعادة تشكيل العراق من جديد يشعر كل محب له بالارتياح.. ويتمنى له مستقبلا زاهرا يداوي كل جراح الماضي.. الماضي الذي دمر الأخضر واليابس في عراق يملك ثروات طبيعية تكفي لأجيال وأجيال قادمة ربما تكون فرصتها أفضل في العيش بعيدا عن أخطاء الماضي.

اليوم تتشكل ملامح عراق آخر يحتاج من كل دول العالم "اشقاء واصدقاء" الوقوف الى جانبه حتى يستطيع اجتياز المحنة.

عراق جديد وموحد هو أمنية جميع من أحب هذا البلد العظيم بتاريخه وثقافته.. وأحب أرضه وشعبه.

عراق جديد وصديق للجميع، وحده يضمد جراح سنوات من الألم..

سواء كنا في عمان او أي بلد آخر.. أمنية كل المحبين لهذا البلد وشعبه هو رؤية اليوم الذي يتجاوز فيه العراق محنة الماضي.. والبدء في بناء المستقبل برؤية جديدة يكون هدفها الأول هو الانسان وعدوها الحرب.

* رئيس تحرير صحيفة عمان